في ظلال الإسلام (٧)

الإسلام وموقفه من غير المسلمين

تأليف
أ. د. أحمد عمر هاشم

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠
http://gate.dar-elmarf.com

تصميم الغلاف: **أيمن القاضى**

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج. م. ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد ..

فهذه دراسة عن موقف الإسلام من غير المسلمين، ويتضح بها احترام الإسلام لسائر الأديان السماوية، ووجوب الإيمان بجميع الرسل والكتب السابقة، كما يتضح بها موقف الإسلام من غير المسلمين في الحرب وفي السلم، والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في سائر المعاملات، وسماحة الإسلام مع غير المسلمين، والتي كان الناس بسببها يدخلون في دين الله أفواجًا، وأن الإسلام هو دعوة كل الرسل. أسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والرشد والسداد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أ. د. أحمد عمر هاشم

احترام الإسلام لسائر الأديان السماوية

احترم الإسلام جميع الأديان السماوية، وأرسل الله تعالى سيدنا محمدًا خاتمًا للأنبياء والمرسلين، ومصدقًا لجميع الرسل الذين كانوا قبله، وأنزل الله تعالى على رسوله القرآن الكريم تبيانًا لكل شيء، ومصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها وحارسا أمينا لها.

وكان من عناصر الإيمان: الإيمان بجميع الرسل السابقين وبجميع الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٨٥)، بل إن إيمان المؤمن لا يكون صحيحا إلا إذا آمن بجميع الأنبياء السابقين، وآمن بما أنزل الله تعالى عليهم من الكتب السماوية الصحيحة، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٦) ومادام كل مسلم مأمورا أن يؤمن بجميع الرسل السابقين وبجميع الكتب السماوية، فلا يكون لديه تعصب، ولا كراهية لدين آخر أو نبى أو رسول، ولا كراهية ولا حقد على أحد من أتباع الأديان الأخرى.

ووضح القرآن لأتباعه ما قضته الإرادة الإلهية منذ الأزل، من اختلاف الناس فى عقائدهم وأجناسهم وألوانهم، وذلك لحكمة يعلمها الحكيم الخبير.

قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩)

وقال جل شأنه:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (سورة يونس الآية ٩٩)

ولا يحجر الإسلام على أحد، ولا يكره أحدا على الدخول فى عقيدته، قال الله تعالى:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾(سورة البقرة الآية ٢٥٦)

موقف الإسلام من غير المسلمين في الحروب

من المعلوم أن الإسلام هو دين السلام، لا يأمر بالحرب إلا فى الضرورة القصوى التى تستدعى الدفاع والجهاد فى سبيل الله، ومع مشروعية الجهاد فى سبيل الله دفاعا عن الدين والعقيدة والأرض والعرض، فإن الحرب فى الإسلام لها حدود وضوابط وللمسلمين أخلاقهم التى يتخلقون بها حتى فى حربهم مع من يحاربهم من غير المسلمين، فأمر الإسلام بالحفاظ على أموال الغير، وبترك الرهبان فى صوامعهم دون التعرض لهم، ونهى الإسلام عن الخيانة والغدر والغلول، كما نهى عن التمثيل بالقتلى، وعن قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وعن حرق النخيل والزروع، وقطع الأشجار المثمرة، وأوصى أبو بكر الصديق رضى الله عنه أسامة بن زيد عندما وجهه إلى الشام بالوفاء بالعهد وعدم الغدر أو التمثيل، وعاهد خالد بن الوليد أهل الحيرة ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصرا، ولا يمنعهم من أن يدقوا نواقيسهم أو أن يخرجوا صلبانهم فى أيام أعيادهم.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رحيما بغير المسلمين من أهل الكتاب، وكان ينصح سعد بن أبي وقاص عندما أرسله فى حرب الفرس بأن تكون حربه بعيدا عن أهل الذمة، وأوصاه ألا يأخذ منهم شيئا لأن

لهم ذمة وعهدا، كما أعطى عمر رضى الله عنه أهل إيلياء أمانا على أموالهم وكنائسهم وصلبانهم وحذر من هدم كنائسهم، وأمر الإسلام بحسن معاملة الأسرى وإطعامهم قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ (سورة الإنسان الآية ٨)، بينما يعامل غير المسلمين أسرى المسلمين معاملة سيئة، فقد يقتلونهم وقد يسترقونهم أو يكلفونهم أشق الأعباء والأعمال، فإن أسرى غزوة بدر الكبرى عاملهم النبى ﷺ خير معاملة، فوزعهم على الصحابة وأمرهم أن يحسنوا إليهم، فكانوا يؤثرونهم على أنفسهم فى الطعام وفى الغذاء، ولما استشار أصحابه فى شأن أسرى بدر، وأشار البعض بقتلهم، وأشار الآخرون بالفداء، وافق على الفداء، وجعل فداء الذين يكتبون منهم أن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وكان هذا أول إجراء لمحو الأمية.

ولم يقبل الرسول ﷺ أن يمثل بأحد من أعدائه فى الحروب مهما كان أمره، ولما أشير عليه أن يمثل بسهيل بن عمرو لأنه كان يحرض على حرب المسلمين وعلى قتالهم فأشير عليه أن ينزع ثنيتيه السفليين حتى لايستطيع الخطابة بعد ذلك لم يوافق النبى ﷺ على ذلك بل رفض قائلاً: لا أمثل به فيمثل الله بى، وإن كنت نبيا.

وعندما حقق الله تعالى لرسوله ﷺ أمنيته بفتح مكة المكرمة ودخلها فاتحا منتصرا ظافرا قال ﷺ لقريش: «ما تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم».

ومن توجيهات الإسلام للمسلمين فى الحرب:

١- أن يكون القتال فى سبيل الله.

٢ - أن يكون القتال لمن يقاتلون المسلمين.

٣ - عدم الاعتداء، قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٩٠).

فالذين يعتدون على المسلمين ويقاتلونهم أمر المسلمين أن يقاتلوهم، ولكنه قتال عادل بمعنى ألا يمثلوا بأحد وبلا تعذيب، حيث قال الله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٩٤). وهذا فيمن يقاتلون المسلمين، أما الذين لا يقاتلون من غير المسلمين فكان النبى ﷺ ينهى عن قتالهم: فعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ..» رواه أبو داود. وفى حديث آخر: «سيروا باسم الله وفى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليدا» رواه ابن ماجة.

كما كان ينهى عليه الصلاة والسلام عن التعرض للرهبان وأصحاب الصوامع، وعن التمثيل والغلول، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال ﷺ: «اخرجوا باسم الله، قاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله، لا تعتدوا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع» رواه أحمد فى المسند.

موقف الإسلام من غير المسلمين في حال السلم

يقف الإسلام من غير المسلمين فى حال السلم موقف الأمان، بل إنه لم ينه عن البر بهم ماداموا لم يقاتلوا المسلمين، وإنما ينهى عن البر بالذين قاتلوا المسلمين فى دينهم وأخرجوهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم، فقال جل شأنه: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الممتحنة الآيتان: ٨ ، ٩).

ونهى القرآن الكريم عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن، فقال الله سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة العنكبوت الآية ٤٦).

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٤).

بل أمر الإسلام بالوفاء بالعهد حتى مع المشركين، قال تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة التوبة الآية ٤).

بل لو طلب المشرك من المسلم أن يجيره فعليه أن يجيره، بل ويبلغه مأمنه، كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾(سورة التوبة الآية ٦).

ومن رعاية الإسلام لحقوق غير المسلمين رعايته لمعابدهم وكنائسهم، ومن محافظته عليها ما جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما حان وقت الصلاة وهو فى كنيسة القيامة، فطلب البطريرك من عمر أن يصلى بها، وهم أن يفعل ثم اعتذر ووضح أنه يخشى أن يصلى بالكنيسة فيأتى المسلمون بعد ذلك ويأخذونها من النصارى على زعم أنها مسجد لهم، ويقولون: هنا صلى عمر.

ولم تتوقف معاملة المسلمين لغير المسلمين عند حد المحافظة على أموالهم وحقوقهم، بل حرص الإسلام عبر عصوره على القيام بما يحتاجه أهل الكتاب وما يحتاج إليه الفقراء منهم.

إن مثل هذه المعاملة من المسلمين لغير المسلمين تطلع العالم أجمع على أن الإسلام ربىَّ أتباعه على التسامح، وعلى رعاية حقوق الناس، وعلى الرحمة بجميع البشر مهما اختلفت عقائدهم وأجناسهم.

وقد حفظت أجيال المسلمين قيمة هذه الرعاية الإسلامية لحقوق غير المسلمين، لأنهم ما طبقوها إلا استجابة لتعاليم القرآن الكريم، وتوجيهات الرسول العظيم ﷺ وقد طبقها فى حياته، فوعاها المسلمون

جيلا فجيلا، وطبقها الخلف عن السلف، والأبناء عن الآباء، فها هو ذا عبدالله بن عمر رضى الله عنهما: حدث مجاهد قال: «كنت عند عبدالله بن عمر، وغلام له يسلخ شاة، فقال: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي، وقال ذلك مرارا، فقال له: كم تقول هذا؟ فقال إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه».

المساواة بين المسلمين وغير المسلمين في القضاء وسائر المعاملات

أقام الإسلام المساواة بين المسلمين وغير المسلمين في القضاء وفي سائر المعاملات، وقد سجل التاريخ نماذج رائدة لهذه المعاملات التي تعتبر قمة ما وصلت إليه المعاملات الإنسانية العادلة في تاريخ البشرية جمعاء.

فعندما شكا رجل من اليهود علي بن أبي طالب للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عمر لعلي: قم يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك، فقام علي وجلس بجواره ولكن بدت على وجهه علامة التأثر، فبعد أن انتهى الفصل في القضية قال لعلي: أكرهت يا علي أن نسوي بينك وبين خصمك في مجلس القضاء؟ قال: لا، ولكني تألمت لأنك ناديتني بكنيتي فلم تسو بيننا، ففي الكنية تعظيم، فخشيت أن يظن اليهود أن العدل ضاع بين المسلمين.

وتتابعت وصايا رسول الله ﷺ بأهل الذمة والمعاهدين حيث قال : «من قتل نفساً معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما» فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ومعنى «لم يرح رائحة الجنة»: لم يشمها. وقال ﷺ : «ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة» رواه أبو داود والبيهقي.

ومما يدل على المساواة بين المسلمين وغيرهم فى القضاء، وعلى انتشار الإسلام بسماحته وحسن معاملة المسلمين لغير المسلمين هذه الواقعة التى حدثت بين الإمام على بن أبي طالب وبين رجل من أهل الكتاب، وذلك عندما فقد الإمام على رضى الله عنه درعه، ثم وجدها عند هذا الرجل الكتابى، فجاء به إلى القاضى شريح قائلا: إنها درعى ولم أبع ولم أهب، فسأل القاضى شريح الرجل الكتابى قائلا: (ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟).

فقال الرجل: ما الدرع إلا درعى، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب، فالتفت القاضى شريح إلى الإمام على رضى الله عنه يسأله: يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك على وقال: أصاب شريح ما لى بينة، فقضى بالدرع للرجل، وأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه، إلا أن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء .. أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضى عليه؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين؛ انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين، فخرجت من بعيرك الأورق، فقال الإمام على رضى الله عنه: «أما إذ أسلمت فهى لك».

وهكذا نرى كيف وصلت سماحة الإسلام إلى هذا المدى الذى يقف فيه أمير المؤمنين نفسه أمام القاضى، مع رجل من أهل الكتاب، ومع أن أمير المؤمنين على حق، فإن القاضى طالبه بالبينة، وهذا أمر جعل أمير المؤمنين يضحك؛ لأنه على حق، وليس معه بينة، وواضح أنه المدعي، والبينة على المدعى، واليمين على من أنكر، ثم تكون النهاية: أن يحكم القاضى للرجل بالظاهر، حيث لم تظهر البينة .. إن هذه المعاملة السمحة، التى لا يفرق فيها بين أمير وواحد من الرعية من أهل الكتاب

جعلت الرجل يفكر فى هذا الدين ويتملكه الإعجاب بهذا الدين الذى يقف فيه أمير المؤمنين أمام قاضيه، ويحكم قاضيه عليه لا له، بظاهر ما أمامه وإن كان ذلك خلاف الواقع، فأنطق الله الرجل أن يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ويعترف ويقر بالحقيقة قائلا: الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، انبعث الجيش، وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، ولكنه قد اعترف وأحب الإسلام ودخل فيه .. مما جعل أمير المؤمنين يتنازل عن الدرع للرجل قائلا: (أما إذ أسلمت فهى لك).

إنها صورة من صور القضاء فى قمة عدالته، حيث يسوى بين هذا الرجل وبين أمير المؤمنين، وصورة سماحة الإسلام فى ذروتها حيث كان الحكم بالظاهر وعلى أمير المؤمنين لا له، إن مثل هذه المعاملة السمحة مع غير المسلمين، هى التى قربت الإسلام إلى الناس، وجعلتهم يدخلون فى دين الله أفواجا.

أما صور التعصب الممقوت التى يساء فيها إلى الإسلام فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول فيه، بل تدفعهم إلى النفور منه. ومن أجل هذا كان القرآن الكريم يجلى هذه الحقيقة: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥٦) وأيضا لا حرج فيه ولا مشقة: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ (سورة الحج الآية ٧٨).

إنه دعوة إلى اليسر والتسامح لا إلى العسر والغلظة: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٨٥).

سماحة الإسلام مع غير المسلمين

كما راعى الإسلام السماحة والمساواة بين المسلمين وغيرهم فى القضاء، فإنه راعى السماحة فى معاملة المسلمين لغيرهم: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (سورة الممتحنة الآية ٨)، بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ماداموا فى دار الإسلام، وهذا الحق الذى قرره الإسلام لحمايتهم، يجب أن يعمل به أهل الأديان الأخرى فى معاملة الأقليات الإسلامية حماية لهم وتمكينا لعبادتهم حتى يتم التعاون بين عنصرى الأمة، ولننظر كيف أكد الإسلام على حقوق أهل الكتاب والمعاهدين، قال رسول الله ﷺ: "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة» رواه أبوداود والبهيقي.

ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه «أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم» وإرساء لأسس التعاون والتواصل بين عنصرى الأمة أحل الله طعامهم فقال: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾(سورة المائدة الآية ٥) وشرع الزواج بالمرأة الكتابية، ولا رابطة فى الظواهر الاجتماعية أقوى من ذلك، قال تعالى:

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (سورة المائدة الآية ٥).

وإذا كان التسامح وحسن المعاملة وعدم التعصب أمورا مطلوبة من المسلمين فى معاملتهم مع غير المسلمين، فإنها كذلك مطلوبة من غير المسلمين مع المسلمين، حتى تتم معاملة كل طرف للآخر فى دائرة التعاون والتضامن، فلا يسىء أحدهم إلى الآخر، بل يتعاملون بروح الفريق الواحد فى الوطن الواحد.

وإن سر انتشار الإسلام، واعتناق الناس له، ودخولهم فى دين الله أفواجا، هو منهاجه الربانى، الذى أنزله رب العزة سبحانه وتعالى على رسوله صلوات الله وسلامه عليه، هذا المنهاج الذى أمر الله تعالى فيه بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن. إنه منهج دعوة، وليس إكراها ولا تشددا ولا عنفا، قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(سورة النحل الآية ١٢٥)، وما أقر الإسلام العنف ولا التشدد: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾(سورة البقرة الآية ٢٥٦).

وقال سبحانه لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون الذى ادعى الألوهية: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (سورة طه الآية ٤٤)، وعندما خافا أن يبطش بهما بيَّن الله تعالى أنه معهما يسمع ويرى ويؤيدهما فى دعوتهما، فالله سبحانه يؤيد كل داع يستجيب لمنهاجه، ويدعو بالقول اللين الذى لا ينفر، فقال تعالى ردا عليهما: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾(سورة طه الآية ٤٦).

وقاوم الإسلام العصبية، ودعا إلى التسامح، ففى الحديث: «ليس منا من دعا إلى عصبية». ولم يقتصر تسامح الإسلام مع أهل الكتاب فحسب،

بل إنه شمل حتى المشركين فدعا الإسلام إلى منحهم الجوار والأمان حين يطلبه أحد المشركين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾(سورة التوبة الآية ٦).

بل إن الإسلام يعتبر ضرب الإنسان الفاجر أو المعاهد دون ذنب أو بسبب جريمة يتبرأ الرسول ﷺ من صاحبها فيقول: «ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لعهد ذى عهدها، فلست منه وليس مني» صحيح مسلم باب الإمارة، وذلك حتى لا يأخذ الناس بعضهم بعضا بالظن، وحتى لا تكون الحياة فوضى، فالإسلام لا يقر الظلم ولا العدوان، حتى على الفاجر أو من كان معاهدا، فالفاجر فجوره على نفسه وحسابه على الله، ولسنا مطالبين حياله إلا بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وبمراتب مقاومة المنكر التى أخبر بها الرسول ﷺ قال: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» أخرجه أحمد فى مسنده والنسائى والترمذى.

وليس لأحد كائنا من كان أن يعطى نفسه الشرعية والحق فى ضرب الناس، أو إكراههم باسم الإسلام، فإنه بهذا التصرف يسىء إلى الإسلام وإلى سماحته.

عدالة الإسلام

وقد عنى الإسلام برعاية أهل الكتاب، فقرر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لهم كفالة فى بيت مال المسلمين، فقد روى أنه مر بباب جماعة، فوجد سائلا يسأل وهو شيخ كبير ضرير فسأله قائلا: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودى، فسأله: ما ألجأك إلى

ما أرى؟ قال: اسأل الجزية، والحاجة، والسن، فأخذ عمر بيده إلى منزله، وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: انظر هذا وأضرابه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شيبته ثم نخذله عند الهرم!!

وما حدث فى تاريخ سلفنا إهانة أحد من أهل الذمة، بل إن حدث أى تجاوز كان يعالجه الإسلام فى الحال، فعندما شكا إلى عمر أحد الأقباط ابن والى مصر: عمرو بن العاص الذى لطم ابنه عندما غلبه ابن القبطى فى السباق، وقال: أنا ابن الأكرمين، أسرع عمر رضى الله عنه بإحضار والى مصر وابنه إلى مكة فى موسم الحج، وأعطى عمر الدرة لابن القبطى وأمره أن يقتص من ابن الأكرمين، ثم قال لعمرو كلمته المأثورة: «متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!».

وقد أقام الإسلام العدل بين عنصرى الأمة من المسلمين وغير المسلمين، ومن رسالة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى قاضى القضاة أبى موسى الأشعرى قال له: (آسِ بين الناس فى وجهك ومجلسك وقضائك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك) فلا يصح التفرقة بين المتخاصمين حتى ولو كان أحدهما غير مسلم.

وهكذا نرى كيف عامل سلفنا أهل الكتاب، وكيف أظهروا سماحة هذا الدين الذى لا يقر العصبية، ولا يرضى الظلم حتى لغير المسلمين، بل يدعو إلى التسامح والعدل معهم.

وهذا المنهاج المتسامح للإسلام مع أهل الأديان الأخرى هو سر عظمة الإسلام، وسر ذيوعه وانتشاره فى ربوع المعمورة.

الإسلام دعوة كل الرسل

إن الإسلام هو دعوة كل الرسل، ويتناول إطلاقه جميع الأديان التى أمر الله تعالى رسله أن يبلغوها للناس، لأنه روحها الكلى، على اختلاف فى بعض التكاليف والأعمال، وينضوى الإنسان تحت راية الإسلام عندما تصح عقيدته، وتخلص من كل شائبة من شوائب الشرك والنفاق، ويخلص فى إيمانه وعمله لله تعالى .. وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٨٥)

فالإسلام بمفهومه القرآنى المشرق اسم للدين الإلهى الذى جاء به جميع الأنبياء والرسل، وانتسب إليه أتباعهم جميعا، يقول نوح لقومه: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة يونس الآية ٧٢).

ويوصى يعقوب بنيه قائلا، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٢).

ويجيب أبناء يعقوب أباهم قائلين: ﴿ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٣)

ويقول موسى عليه السلام لقومه: ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ (سورة يونس الآية ٨٤).

ويقول الحواريون لعيسى: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٥٢).

ويقول بعض أهل الكتاب حين سمع القرآن: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ (سورة القصص الآية ٥٣).

وقد وجه القرآن الكريم الأمة الإسلامية إلى بيان هذه الحقيقة فى قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾(سورة الشورى الآية ١٣).

كما خاطب الله تعالى الرسل جميعا مبينا أن الإسلام والتوحيد قد أمر به كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكافة الأمم، فالملة واحدة، متحدة فى أصول الشرائع لا تتبدل بتبدل العصور، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾(سورة المؤمنون الآية ٥٢).

وتتلخص دعوة الملة القيمة فى التوحيد الخالص لله الواحد الأحد: البعيد عن العقائد الزائفة، مع اتباع جميع الأحكام المنوطة بأتباع الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾(سورة البينة الآية ٥).

وقال تعالى:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٣٦)

فعلاقة الإسلام إذا بالأديان الأخرى علاقة الشىء بنفسه، مادام جوهره هو جوهر كل الرسالات، ودعوة رسوله هى دعوة كل الرسل، وأما ما اختصت

به العقيدة الإسلامية الخاتمة من شرائع وأحكام فهذا مدلول معين على شريعة معينة، وعلاقة الإسلام كشريعة للرسول صلوات الله وسلامه عليه بالأديان الأخرى تقوم على أساس تصديق القرآن لما بين يديه من الكتب والهيمنة عليها.

وهذه العلاقة تأخذ اتجاهين واضحين :

الاتجاه الأول: علاقة الإسلام بالشرائع السماوية قبل تطورها وتغييرها.

والاتجاه الثاني: علاقته بها بعد تطورها وتغيرها.

أما الاتجاه الأول فالقرآن جاء مصدقا لما قبله من الكتب، وقد أخذ رب العزة سبحانه على كل نبى إذا جاء رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره .. وتصديق الكتب المتأخرة للمتقدمة لا يعنى أنها لا تغير منها شيئا، فهى مع أنها مصدقة لها إلا أنها تغير منها، كما حدث أن جاء الإنجيل بتعديل أحكام التوراة، فأعلن عيسى عليه السلام أنه جاء ليحل لبنى إسرائيل بعض الذى حرم عليهم، وأيضا فقد جاء القرآن بتعديل بعض أحكام الإنجيل والتوراة، إذ أعلن أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه جاء ليحل للناس كل الطيبات، ويحرم عليهم كل الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم، وليس فى هذا تناقض من اللاحق للسابق ولا إنكار منه له، وإنما هو توافق وتناسب للزمن الذى تعيشه كل أمة، ليتواءم مع ظروفها وطبيعتها وأطوارها المختلفة، فإن الذى يتناسب مع أمة من الأمم فى طورها الأول قد لا يتناسب معها فى الطور الثانى، والذى يتناسب معها فى الطورين الأولين قد لا يتناسب معها فى الطور الثالث، وهكذا.. نعم، هناك من الأمور ما تأذن الشريعة

اللاحقة بإبقائه واستمراره فى نطاق ظروفه السابقة: كالوصايا العشر مثلا ما عدا الوصية العاشرة التى تحرم العمل يوم «السبت» فمثل ذلك من التشريعات الخالدة التى لم تتغير بعد .. أما ما هنالك من تشريعات مؤقتة بآجال طويلة أو قصيرة فهى تنتهى بانتهاء وقتها، وتأتى الشريعة اللاحقة بما يوافق الأوضاع مصداقا لقوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٠٦).

إذاً ففى كل شريعة من الشرائع عنصران ضروريان للدعوة:

عنصر مستمر: يربط حاضرها بماضيها.

وآخر غير مستمر: ويقوم بالتجديد بما يتناسب مع تطورها فى كل زمان ومكان، فمثلا نرى شريعة التوراة تنص ضمن قوانين السلوك الأخلاقى على «النهى عن القتل والسرقة .. الخ» ومن أهم ما تبرزه: طلب العدل والمساواة. ونرى شريعة الإنجيل تقرر هذه المبادئ وتزيد عليها: «لا تراء الناس بفعل الخير» و«أحسن إلى من أساء إليك» وأوضح ما فيها التسامح والإحسان .. فتأتى شريعة القرآن فتقرر المبدأين معا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾(سورة النحل الآية ٩٠).

﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (سورة الشورى الآية ٤٠).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾(سورة النحل الآية ١٢٦).

وقد أضافت الشريعة الإسلامية كل مكارم الأخلاق، فلم تدع جانبا من جوانب السلوك فى التحية، والاستئذان، والمجالسة والمخاطبة، وما إلى

ذلك من الآداب السامية، والأخلاق الرفيعة كما هو موضح فى سورة النور، والحجرات، والمجادلة.

إذا فالشرائع كلها بمثابة اللبنات فى بناء الدين، ومهمة اللبنة الأخيرة: إكمال البناء وإمساكه، وبلوغه الكمال الخلقى كما قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وقد وصف الله تعالى رسوله ﷺ بأكمل وصف، وأعظم خُلُق إذ يقول سبحانه وتعالى للرسول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم الآية ٤).

ويقول القرآن الكريم فى بيان إكمال الدين، وإتمام النعمة الإلهية على العباد على يدى خاتم المرسلين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (سورة المائدة الآية ٣).

ويوضح الرسول ﷺ موقفه من الأنبياء السابقين عليه كرسول خاتم فيقول: «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» صحيح متفق عليه.

وأما عن علاقة الإسلام بالأديان السماوية الأخرى بعد تطويرها وتغييرها: فقد عرفنا أن القرآن الكريم جاء «مصدقًا» لما بين يديه من الكتب و «مهيمنًا» على تلك الكتب، والهيمنة تعنى الحراسة الأمينة عليها، والحماية الواعية لها من الدخيل الذى يدس فيها، ويطرأ عليها، وإبراز ما تدعو إليه الحاجة من حقائق قد أخفيت منها، وتأييد ما خلده التاريخ من حق وخير.

وهكذا كانت مهمة القرآن الكريم .. فنفى وجود الأمور الزائدة وتحدى ادعاء وجودها فى الكتب: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٩٣).

وإبراز ما أخفوه:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (سورة المائدة الآية ١٥).

فعلاقة الإسلام إذا بالأديان الأخرى فى طورها الأول علاقة تأييد كلى، وأما فى طورها الأخير المتطور فهو تصديق لما بقى من أجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ من البدع والإضافات الغريبة عنها.

وقد أمر الإسلام أتباعه بالتعامل الحسن، حتى مع أبعد الأديان عنه، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ (سورة التوبة الآية ٦).

إن سماحة الإسلام لتنفسح جوانبها، وتمتد ظلال الأمن فيها وارفة فتجير المشرك وتؤويه وتكفل له الأمن، وتقدم له الرشد الناجع، والتوجيه السديد بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن كما قال تعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة النحل الآية ١٢٥).

بل وتكفل له الحماية والرعاية والأمان من كل غائلة .. كما ندب الإسلام أتباعه أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف بر ورحمة وقسط وعدل:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (سورة الممتحنة الآية ٨).

وما أروع قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه يوم الحديبية:

«والله لا تدعونى قريش إلى خطة توصل بها الأرحام، وتعظم فيها الحرمات إلا أعطيتهم إياها».

نماذج لأثر سماحة الإسلام

وأقدم هنا بعض النماذج من سماحة الإسلام، وما كان لها من أثر كريم فى نفوس الذين عرفوها ولمسوها، حتى دخل بسببها فى الإسلام أناس كثيرون.

١ - إسلام ثمامة بن أثال:

قال الإمام البخارى رحمه الله: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث قال: حدثنى سعيد بن أبى سعيد: أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبى ﷺ خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سوارى المسجد، فخرج إليه النبى ﷺ فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندى خير يا محمد إن تقتلنى تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد ثم، قال له: «ما عندك يا ثمامة؟» قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندى ما قلت لك، فقال: «أطلقوا ثمامة» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه

إلى، والله ما كان من دين أبغض إلى من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلى، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلى، وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبى وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى .أخرجه البخارى ومسلم.

هذه القصة من أوضح الشواهد والدلائل على انتشار الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وبروح التسامح والرحمة .. إنه انتشر بمبادئه الإنسانية العالية لا كما يقول المتشدقون وأعداء الإسلام إنه انتشر بالسيف؛ كيف والقرآن الكريم يقول: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥٦).

ويقول سبحانه: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾(سورة الكافرون الآية ٦).

ويقول سبحانه: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾(سورة الغاشية الآية ٢٢).

وهاهو سيد بنى حنيفة «ثمامة بن أثال» قد أسره المسلمون فى إحدى السرايا دون أن يعرفوه، ولما جىء به إلى رسول الله فعرفه أكرمه وأبقاه عنده ثلاثة أيام، وكان فى كل يوم يعرض عليه الإسلام ويسأله قائلا: ماذا عندك؟ فيجيب الرجل قائلا: إن تقتلنى تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت.

ومعنى «تقتل ذا دم» أى صاحب دم، لدمه موقع يشتفى قاتله بقتله، ويدرك ثأره لرياسته وعظمته.

وفى رواية ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قد عفوت عنك يا ثمامة وأعتقتك»

وقد كان لهذه السماحة أثرها فى قلب ثمامة جعلته يبادر بالدخول فى الإسلام، وقد سر الرسول بإسلامه كثيرا لما ترتب على إسلامه من دخول قومه فى الإسلام، ولم يقف الحال عند هذا، بل كان لإسلامه أثر هام، فعندما ذهب إلى مكة للعمرة وهمَّ أهلها أن يقتلوه، وفى رواية ابن هشام قال: بلغنى أنه خرج معتمرا، حتى إذا كان ببطن مكة لبى، فكان أول من دخل مكة يلبى فأخذته قريش فقال: لقد اجترأت علينا، وأرادوا قتله، فقال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى الطعام من اليمامة، فتركوه.

وزاد ابن هشام: ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا، فكتبوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم : «إنك تأمر بصلة الرحم، فكتب إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبين الحمل إليهم».

وهكذا كتب الرسول ﷺ إلى ثمامة أن يخلى بينهم وبين حبوب اليمامة، ففعل ثمامة ما أمره به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو أراد الرسول ﷺ أن يقهر القوم، وأن يلجئهم إلى الإسلام مستعملا القسوة، وانتهاز حاجتهم وضرورتهم لفعل، ولكنه لا يقهر أحدا ولا يستعمل القوة، ولا يكره الناس على الدخول فى الإسلام.

وبعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وكانت حركة الردة، وارتد بعض أهل اليمامة، ظل ثمامة هذا ثابتا هو وأتباعه، وراح يحذر المرتدين من أتباع مسيلمة الكذاب قائلا لهم: إياكم وأمرا مظلما لا نور فيه، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم، وبلاء على من

لم يأخذ به منكم، ولما لم يجد النصح معهم خرج هو والذين معه وانضموا للعلاء بن الحضرمى مددا له، فكان هذا مما فت فى عضد المرتدين وألحق بهم الهزيمة (الإصابة والاستيعاب، والسيرة التحليلية د.أبوشهبة).

وهذا الموقف من رسول الله ﷺ مع ثمامة نموذج من نماذج التسامح العالية التى كان الرسول يتعامل بها مع الناس، فقد كانت معاملاته عبر حياته كلها تتسم بروح التسامح والرأفة، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالقوة والسيف.

ومما لا شك فيه أن الذى يكره على شىء لا يثبت عليه، وإنما يتخلص منه إذا وجد سبيلا إلى ذلك، بل يكون عدوا له، ولكننا عبر تاريخ الإسلام لم نجد أحدا ارتد سخطة عن دينه بعد أن يدخل فيه، بل وجدنا المسلمين تعرضوا عبر تاريخهم إلى حروب وانقسامات لأقطارهم، وتسلط أعدائهم عليهم، ومع هذا لم نجد أحدا منهم رجع عن دينه بل ثبتوا على الإسلام حتى فتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، وجاءهم نصر الله والفتح.

ويستنبط من هذا النموذج بالإضافة إلى ما سبق بعض العبر والدروس، منها:

ـ أن الإسلام انتشر بتعاليمه ومبادئه ومنهجه الذى يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة وبروح التسامح.

ـ فضل شيمة العفو عن المسىء، وما له من أثر فى تغيير العدو إلى صديق، فإن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب إلى حب فى وقت واحد وفى ساعة واحدة، وذلك نتيجة العفو الذى أسداه إليه الرسول ﷺ وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (سورة فصلت الآية ٣٤).

- مشروعية الاغتسال عند الإسلام.
- أثر الإحسان فى إزالة البغض وتثبيت الحب.

٢ - إسلام زيد بن سعنة :

أخرج الطبرانى، وابن حبان، والحاكم .. وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم، عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده، عن عبد الله بن سلام قال: قال زيد بن سعنة:

ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا خصلتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما. قال زيد بن سعنة: خرج رسول الله يوما من الحجرات، ومعه على بن أبى طالب رضى الله عنه فأتاه رجل على راحلته كالبدوى فقال: يا رسول الله لى نفر فى قرية بنى فلان، قد أسلموا ودخلوا فى الإسلام، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدا، وقد أصابتهم سنة[1]، وشدة وقحط من الغيث فأنا أخشى يارسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعا كما دخلوا فيه طمعا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلت، فنظر إلى رجل إلى جانبه أراه عليا فقال: يا رسول الله ما بقى منه شيء، قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه، فقلت: يا محمد هل لك أن تبيعنى تمرا معلوما فى حائط بنى فلان إلى أجل معلوم إلى أجل كذا وكذا؟

(١) رغدا : واسعا، وسنة أى جدب.

قال: لا تُسَمِّ حائط بنى فلان، قلت نعم، فبايعني، فأطلقت همياني[١]، فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهب فى تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاها الرجل وقال: «اعدل عليهم وأغثهم» قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ومعه أبوبكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فى نفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته فأخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ قلت له:

يا محمد ألا تقضينى حقى؟ فوالله ما علمتم بنى عبدالمطلب إلا مطلا، ولقد كان إلى بمخالطتكم علم، ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران فى وجهه كالفلك المستدير، ثم رمانى ببصره فقال: يا عدو الله: أتقول لرسول الله ما أسمع؟ وتصنع به ما أرى؟ فو الذى نفسى بيده لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك. ورسول الله ينظر إلى فى سكون وتؤدة فقال: ياعمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا؛ أن تأمرنى بحسن الأداء، وتأمره بحسن اتباعه، اذهب به يا عمر فأعطه حقه، وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته[٢]، قال زيد: فذهب بى عمر فأعطانى حقى وزادنى عشرين صاعا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرنى رسول الله أن أزيدك مكان ما رعتك، قال وتعرفنى يا عمر؟ قال: لا، قلت: أنا زيد بن سعنة، قال: الحبر؟ قلت: الحبر، قال: فما دعاك إلى أن فعلت برسول الله ما فعلت؟ وقلت له ما قلت؟ قلت: يا عمر، لم يكن من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفت فى وجه رسول الله حين نظرت إليه إلا اثنتين لم

(١) مايشد على الوسط وبه مكان كالكيس تحفظ فيه الأموال.

(٢) رعته : أفزعته.

أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، وقد خبرتهما، فأشهدك يا عمر أنى قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا وأشهدك أن شطر مالى - فإنى أكثرها مالا- صدقة على أمة محمد. قال عمر: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم؟ قلت: أو على بعضهم، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وآمن به وصدقه، وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة ثم توفى فى غزوة تبوك مقبلا غير مدبر رحم الله زيدًا.

وقد روى ابن ماجة من هذه القصة طرفا، وقال الهيثمي: رواه الطبرانى ورجاله ثقات، وأخرجه ابن حبان، والحاكم، وأبو الشيخ فى كتاب (أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم) وغيرهم.

إن هذه القصة تصور لنا بعض سجايا رسول الله وما فطر عليه من الحلم، والصفح، والعفو عن المسيء، استجابة لتوجيه الله تعالى له: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٩٩).

وقال الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (سورة الشورى الآية ٤٠).

إنه كالبحر العذب لا يعكر ماءه الصافى ما يلقى فيه من أحجار.

٣ - موقفه مع أحد الأعراب:

لقد جاء إليه ذات مرة أعرابى فجبذه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية[1] الثوب فى صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد احمل لى على بعيرى

(١) حاشية الثوب: طرفه من عند العنق.

هذين من مال الله الذى عندك، فإنك لا تحمل لى من مالك ولا من مال أبيك، فسكت رسول الله ثم قال: «المال مال الله وأنا عبده» ثم قال: «ويقاد منك يا أعرابى ما فعلت بى» قال: لا، قال: لم؟ قال: لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة.

فضحك النبى وسر من جوابه، وأمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر.

وهذه القصة من أوضح الشواهد على أن الإسلام انتشر بالحسنى، وانتشر بالقدوة، والخلق العظيم الذى تمثل فى رسول الله وبالحكمة والموعظة الحسنة، وبكريم السجايا، وبفضائله ومعاملاته الإنسانية التى لا مثيل لها، إنه لم ينتشر بالسيف كما يدعى المغرضون وإنما انتشر بسماحته ويسره، وبحكمة الرسول ورأفته، وعطفه، ورحمته، وبره بالناس، وصفحه عن المسيء، وحلمه الغزير، وقلبه الكبير، ولين جانبه.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩).

فصلوات الله وسلامه عليك يا من بعثك الله رحمة للعالمين.

الواجب على المسلمين في الظروف الراهنة

لا يخفى على أحد ما تمر به أمتنا الإسلامية والعربية بصفة خاصة، وما يمر به العالم بصفة عامة، من اضطرابات ومن ثورات تستهدف الحق والعدل، وما ينتاب الشارع العربي والإسلامي من مشاعر الغضب والاستياء، الرافضة للظلم والعدوان، وحيال هذه المشاعر المهتاجة ندعوا أمتنا العربية والإسلامية ومصر بصفة خاصة إلى ما يأتي:

أولا: تأكيد الإيمان بالله تعالى وتوثيق الصلة به، لأن النصر من عند الله العزيز الحكيم، ولأن الله تعالى بشّر الذين ينصرون تعاليمه بأن ينصرهم ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ (آية٤٠ سورة الحج) وقال جل شأنه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (آية ٧ سورة محمد).

ثانيا: وجوب توحيد الصف وجمع الكلمة في هذه الظروف الراهنة وعدم الفرقة أو الاختلاف والاستجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آية ١٠٣ سورة آل عمران) البعد عن التنازع والاختلاف كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (آية ٤٦ سورة الأنفال).

ثالثا: تقوية الروح المعنوية، والبعد عن الشائعات المغرضة والمثبّطة التي يحاول المغرضون أن يسرّبوها في مثل هذه الظروف، وقد بين الله

تعالى لنا ذلك فى قوله سبحانه﴿ .. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾(آية ٨٣ سورة النساء).

وقد كان موقف الرسول ﷺ والمؤمنين أنهم واجهوا الشائعات المثبّطة والمغرضة بإيمان لا يتزعزع بالله سبحانه وتعالى فحين سمعوا أنهم جمّعوا جموعهم قالوا من قلوبهم: «حسبنا الله ونعم الوكيل» فكانت النتيجة ما أخبر الله تعالى عنه فى وقوله سبحانه:﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾(آية ١٧٣، ١٧٤ سورة آل عمران).

ولا شك أن فى مثل هذه الظروف تتسرب شائعات وأقاويل، وقد يخلطها بعض أصحاب الأهواء بأمور لا أساس لها من الصحة فعلينا أن نحافظ على تماسك الجبهة الداخلية، وتحصين قاعدة المجتمع من تلك الشائعات، متحلين بروح الولاء والانتماء.

رابعا: تماسك الجبهة الداخلية وعدم التعرض لأى سبب من أسباب اهتزازها، والعمل على الحفاظ على مؤسسات الدولة وعلى الأمن الداخلى والخارجى والعمل على كل ما فيه الأمن والاستقرار والحفاظ على الوطن.

خامسا: العمل على تجاوب كل قطاعات المجتمع فى هذه الظروف واستمرار العمل ومضاعفة الإنتاج، والاجتهاد فى مضاعفة التقدم العلمى، ومواجهة التحديات التى تواجه أمّتنا، والعمل على إعداد العدة وبذل أقصى ما فى الوسع كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن

دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (آية ٦٠ سورة الأنفال)

سادسًا: علينا مع الأخذ في الأسباب، ومع الحفاظ على صيانة الجبهة الداخلية وحمايتها، واستمرار مسيرة العمل والإنتاج والحفاظ على الوطن علينا أن نُنقّى قلوبنا من الأحقاد والأضغان وأن نواصل ونستزيد من تقوى الله، حتى إذا دعونا الله استجاب لنا ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (آية ٢٧ سورة المائدة) وعلينا أن ندعو بما كان يدعو به الرسول ﷺ في وقت الشدة والكرب حيث كان عليه الصلاة والسلام يدعو الله تعالى عند الكرب فيقُول: «لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم لاإله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم».

ونذكر بالإكبار ما قام به أبطال قواتنا المسلحة من جهود تذكر فتشكر في محاولة تجنيب مصر والأمة العربية والإسلامية ويلات التنازع ودعوته، إلى عدم ضرب وحدة أمتنا، وأن الفُرقة تمتد آثارها المدمرة إلى بلاد الجوار وإلى مناطق أخرى في العالم، ودعوته الآن إلى إيقاف العنف ونعتز بنداء الدعوة إلى وحدة صفوفنا إلى الحفاظ على ما أنجزه شباب مصر والشعب من جهوده المتواصلة في الدفاع عن مصر وعن شعب مصر ومكتسبات الثورة.

وندعو الله تعالى أن يكتب لأمتنا النصر والتأييد وأن يوحد صفوفنا، وعلى الشباب بصفة خاصة أن يتحلوا بوحدة الصف وجمع الكلمة والإقبال على دروسهم والبعد عن العناصر المغرضة، والشائعات المسمومة.

سابعًا: العمل على ترسيخ قواعد الوحدة الوطنية، والحفاظ على دور العبادة، فلا يتعرض أحد بسوء إلى الكنائس ولا إلى المساجد، فقد

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (آية ٤٠ سورة الحج).

وقد وضح لنا الإسلام المحافظة على المودة والعدل مع إخواننا من غير المسلمين الذين يعيشون معنا فوق أرض واحدة وتحت سماء واحدة، واختلطت دماؤنا معًا في الحروب دفاعًا عن الوطن والأرض والعرض.

قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (آية ٨ سورة الممتحنة)

ولطالما وصّى رسول الله ﷺ بالمعاهدين وهم أهل العهد والذمة والأمان ونهى عن ظلمهم أو إنقاصهم حقوقهم حيث قال رسول الله ﷺ «ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة» رواه أبو داود والبيهقي.

ولقد وعت ذاكرة التاريخ موقفًا مشرفًا من النجاشي الذي وجّه الرسول ﷺ بعض الصحابة إلى الهجرة إليه وإلى الحبشة وبين لهم أن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وكان المهاجرون من المسلمين آمنين في الحبشة، حتى عندما أرسل المشركون إلى النجاشي طالبين ردّهم رفض وظل محافظًا على المسلمين.

ولقد قابل الرسول ﷺ هذا الجميل بمثله عندما جاء نصارى نجران ودخلوا مسجده وحان الموعد لأداء عباداتهم وحاول بعض المسلمين منعهم فنهاهم رسول الله ﷺ وبين لأصحابه أنهم كانوا كرامًا مع المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وقام بنفسه على إكرامهم موضحًا أنهم كانوا يخدمون المسلمين ويريد أن يؤدى لهم ما يستحقونه من إكرام.

وقد ظل المسلمون يذكرون هذا التوجيه النبوى عبر العصور فى الحفاظ على الوحدة الوطنية والمحافظة على حقوق أهل الكتاب، حتى إن الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية عندما طالب قائد التتار بردّ الأسرى، فردّ أسرى المسلمين، ولم يرد أسرى أهل الكتاب، لم يقبل ابن تيمية وقال لن أخرج من هنا حتى يفك جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فاستجاب له قائد التتار وأطلق جميع الأسرى من المسلمين والنصارى فعلينا أن نحافظ على الوحدة الوطنية وأن نظل نسيجًا واحدًا، ليظل الأمن والسكينة والاستقرار والطمأنينة.

حاجة المجتمع إلى التضافر على الحق

إن مراحل التحول التاريخي في حياة الأمم والشعوب تحتاج إلى تضافر المجتمعات ووحدة صفها، وجمع كلمتها، وإرساء القيم المثلى، والمبادئ العالية، والأخلاق الفاضلة، حتى يكتمل بناء الأمة على نحو قويم.

فما أحوجنا إلى التحلى بمكارم الأخلاق، وأن يتحاب الناس فيما بينهم، وألا يعادى بعضهم بعضا، ولا يحسد بعضهم الآخر كما أرشد رسول الله ﷺ بتنقية المجتمع من الرذائل قبل التحلى بالفضائل، فالتخلية مقدمة أولا لتصفية المجتمع وتنقيته، ثم يكون بعد ذلك التحلّى بالفضائل.

ولقد كان الهدى النبوى مركّزا على التّخلى عن الرذائل قبل التّحلّى بالفضائل ففى الحديث يقول ﷺ: «لا تحسّسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا».

فنهى أولا عن الرذائل ثم أمر آخرا بالتحلى بالفضائل فقال: « وكونوا عباد الله إخوانا».

وفى بعض الروايات: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

إن التربية الإسلامية التى وجهتنا إليها أحاديث الرسول ﷺ راعَتْ فى توجيهها التَّخلّى عن الرذائل أولا، وذلك لتنقية المجتمع من بعض التصرفات التى قد يقع فيها كثير من الناس دون أن يشعروا.

ثم كان التوجيه إلى التحلى بالفضائل وبالقيم المثلى والأخلاق الفاضلة.

حتى لا ننسى ونحن نبنى مجتمعنا الجديد أن نترك قيمنا الإسلامية الأصلية، وألا ينسى بعضنا بعضا، بل واجبنا أن نتحاب وأن نتوادّ وأن نتآلف وأن نتعاطف، كما قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (رواه البخارى) إن الحديث النبوى الشريف شبّه الناس فى تَعارفهم وتآلفهم بالجسد الواحد حتى يظل الناس على قلب رجل واحد،فيشعر كل منهم بشعور أخيه، فلا يظلمه ولا يسئ إليه ولا يخذله ولا يقع فى غيبته أو نميمته بل يكون محبًا لإخوانه ويكون معهم قوة له ولهم كما قال ﷺ: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (رواه البخارى).

إن المرحلة التى يمر بها مجتمعنا تحتاج منا أن نتحاب، وأن نتواد وأن يحب كل إنسان لأخيه ما يحبه لنفسه.

ولطالما ربط الرسول ﷺ رابطة الإيمان بالأخوّة وجعل كمال الإيمان لا يتم إلا إذا أحب الإنسان لأخيه ما يحبه لنفسه، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال :(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه البخارى ومسلم.

ولنكن على يقين، فى الوقت الذى يَعبُر مجتمعنا هذه المرحلة أننا فى أمس الحاجة إلى تأكيد الصلة بالله سبحانه وتعالى طاعة له وتوكلا على الله، فلا نسأل إلا الله ولا نتوكل إلا على الله، وإلى جانب هذا نأخذ فى

الأسباب، ونتابع الإخلاص فى العمل ولنكن على يقين أن الذين يتوكلون على الله ويأخذون فى الأسباب يرعاهم الله جل وعلا ولا يمسسهم سوء.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلف النبىﷺ يوما فقال: « يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن أجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذى.

وفى رواية أخرى: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا» رواه أحمد الطبرانى.

إن واجبنا فى مرحلة التحول التاريخى التى تمر بها أمتنا أن نحافظ على العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وأن ننأى بأنفسنا عن كل ما يسئ العلاقات، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» رواه البخارى ومسلم.

وأكد الإسلام على حرمة النفس والمال والعرض، وقد أعلن رسول اللهﷺ ذلك فى حجة الوداع حيث قال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا».

وتأكيدا للعلاقات الإنسانية بين الناس وضح الرسولﷺ حق المسلم على أخيه المسلم، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال:

(حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة وتشميت العاطس) رواه البخارى ومسلم.

وهى حقوق لاتلزم الإنسان لمجرد رابطة من روابط الرحم بل هى حقوق تجب عليه لأنه مسلم، ولأنه آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا.

وفى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (حق المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه) رواه مسلم.

وواجب المجتمع أن يقوم بالتناصح والتواصى بالحق وبالصبر وقد وضح رسول الله ﷺ ما يرضاه الله تعالى لعباده وما يكرهه لهم حيث قال : «إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال» رواه مسلم.

إن واجب مجتمعنا فى هذه الآونة التى نمر بها، أن نحافظ على البناء الأخلاقى، وأن نحمى أمتنا من غوائل الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن نعمل على انتشار الفضيلة وتنقية المجتمع من كل شر وباطل، وأن نخلص جميعا فى عملنا، حتى تتم سعادة المجتمع وهناءته.

وأن نبتعد عن الظلم فلا يظلم أحدٌ أحدا، ولا يستعلى أحد على أحد كما قال رسول الله ﷺ: « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُّحَّ فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

أسس الوحدة الوطنية

۞ تقوم الوحدة الوطنية فى الإسلام على أسس قوية أرساها القرآن الكريم، والرسول العظيم، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

۞ وأول أسس الوحدة الوطنية: هو احترام الأديان والكتب السماوية، والشرائع الإلهية، وجميع رسل الله والإيمان بهم دون التفريق بين أحد منهم كما قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ سورة البقرة (٢٨٥)

۞ ومن ذلك أيضًا مشروعية حل طعام أهل الكتاب، وحلّ طعامنا لهم ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ سورة المائدة(٥).

۞ ومن تلك الأسس سماحة التعامل وقد استقبل رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بمسجده النبوى وسمح لهم بالدخول ولم يمنعهم من ممارسة شعائرهم.

كما سمح الإسلام للمسلمين بدخول كنائسهم، وزيارة سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أكبر شاهد على ذلك وكاد يصلى فى الكنيسة عندما حضرت الصلاة، لولا أنه خاف أن يقول المسلمون بعد ذلك: هنا صلى عمر، ويأخذونها منهم، فصلى على باب الكنيسة.

وشواهد العلاقات الوطيدة بين المسلمين وغير المسلمين من أهل الكتاب أكثر من أن تحصر، وقد بلغت تلك العلاقات قمتها عندما أعلن رسول الله ﷺ خصومته لمن يؤذى أحدا من المعاهدين فيقول: ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة. رواه أبو داود.

ووضح القرآن الكريم جوهر هذه العلاقة حين قال الله سبحانه ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ سورة الممتحنة (٨).

وتبلغ وصايا القرآن الكريم بغير المسلمين صبغتها النهائية حين يقول رب العزة سبحانه عن المشركين : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾سورة التوبة (٦)

وكفل الإسلام الحرية الدينية لغير المسلمين الذين يعيشون فى المجتمع الإسلامى، فلم يكره أحدا على الدخول فى الإسلام قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ سورة البقرة (٢٥٦).

كما صان الإسلام حرمة غير المسلمين، وجعل من حقهم أن يبدوا رأيهم وأن يناقشوا، وأمر المسلمين ألا يجادلوهم إلا بالتى هى أحسن، قال الله سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ سورة العنكبوت (٤٦).

ومن أسس الوحدة الوطنية: التواصل بين جميع الرسل والأنبياء واجتماعهم فى مكان واحد وهو المسجد الأقصى فى ليلة الإسراء والمعراج

وقيامهم - مجتمعين - بصلاة واحدة، وجاء جبريل عليه السلام، وأخذ بيد الحبيب المصطفى ﷺ وقدمه للقبلة.. ليصلى بهم إماما.

وكان هذا اللقاء، وهذه الصلاة التى أداها الرسل جميعا إعلانا لوحدة الدين السماوى وعدم التفرقة بين نبى ونبى أو شريعة وشريعة، وكان الإسلام مؤكدا على الوحدة الوطنية عندما أعلن أن الواحد منا لا يكون كامل الإيمان إلا إذا آمن بجميع النبيين والرسل، حتى لا يكون هناك أدنى تعصب لشريعة أو لنبى من الأنبياء.

وكان أول من طبق هذه الوحدة الوطنية سيدنا المصطفى ﷺ، فعندما هاجر من مكة إلى المدينة كان أول عمل قام به بناء المسجد ثم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم قام بتوحيد الصف بين المسلمين وغيرهم فأبرم أول وثيقة لحقوق الإنسان وللعلاقات الإنسانية والدولية بين المسلمين وغيرهم.

ولقد وعى التاريخ ما أقامه الإسلام من مبادئ إنسانية وما أكد عليه من حقوق الإنسان وحقوق المسلمين وغير المسلمين، وأعلن العدالة والحرية والسماحة والوفاء.

وما إن دخل الإسلام مصر وأشرق الفتح الإسلامى إلا كان الأقباط أول المرحبين وأول الفرحين، لأنه أعطى كل ذى حق حقه، وأنصف المظلوم وردّ عنهم كيد الرومان، والإسلام حين جاء بهذه المبادئ العادلة أراد من المجتمعات البشرية ألا تشعل فتنا دينية، ولا حربا أهلية فى أوطانها، وإنما أراد أن يعيش الناس فى سلام وأمان واستقرار وهدوء.

وإذا ما حاول دعاة الفرقة والفتنة أن يبثوا سمومهم فى الصفوف الإسلامية، فعلى الجميع أن ينتبهوا لذلك، وأن يطبقوا تعاليم دينهم

الحنيف فلا يسمحون لظهور مثل هذه الفتن من المسلمين أو من غير المسلمين فنحن جميعا ركّاب سفينة واحدة، لو قام أحد ركاب السفينة فأحدث فيها خرقا غرقت كلها ولن يغرق الذى باشر الخرق بل سيغرق كل ركاب السفينة بلا استثناء.

وإذا كانت تعاليم الإسلام تحث على حسن علاقة المسلم بغير المسلم، وتدعو إلى المعاملة الحسنة والعدالة والتعاون معه، فإن من الواجب أن تقابل هذه المعاملة بمثلها من غير المسلمين مع المسلمين خاصة فى البلاد التى بها أقليات إسلامية، فلا يصح أن يمنعوا من ممارسة شعائرهم، ولا أن يضيق عليهم.

إننا ندعو المسلمين والمسيحيين أن يكونوا على قلب رجل واحد فى هذه المرحلة التى يعبر فيها مجتمعنا هذا التحول التاريخى من حياته.

وإن الدفاع عن الوحدة الوطنية واجب دينى وواجب وطنى، وفريضة حتمية كما جاء فى التوجيهات الربانية والوصايا النبوية.

كما أن واجب الدفاع عن دور العبادة وحمايتها فريضة على كل إنسان، حماية لأمن الوطن واستقراره.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ سورة الحج (٤٠).

شواهد تاريخية
لترسيخ دعائم الوحدة الوطنية

إن اختلاف الناس فى عقائدهم، وفى أجناسهم وألوانهم بإرادة الله رب العالمين.

وقد وضح القرآن الكريم ما قضته الإرادة الإلهية منذ الأزل من اختلاف الناس فى عقائدهم، وذلك لحكمة يعلمها الحكيم الخبير، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ هود: ١١٨ ولا يكره الإسلام أحدا على الدخول فيه؛ فهو لم ينتشر بسيف ولا عنف ولا إكراه، قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

فلو أراد الله توحيد الأديان لوحّدها ولو شاء أن يجعل الناس أمة واحدة لجعلهم.

الدين للديّان جل جلاله لو شاء ربك وحّد الأقواما

۞ ولقد شهد تاريخ الإسلام الحرص على ترسيخ دعائم الوحدة الوطنية من فجر الإسلام فمنذ الهجرة النبوية كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ هو بناء المسجد النبوى لتوثيق الصلة بالله، وكان العمل

الثانى هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكان العمل الثالث وضع الوثيقة التى أبرمها بين المسلمين وغيرهم وهى صحيفة المدينة التى تعتبر أول وثيقة عرفتها البشرية لحقوق الإنسان، فعاهد غير المسلمين أن يكونوا مع المسلمين يدا واحدة فى مواجهة أعدائهم، فأول من أقام نسيج الوحدة الوطنية هو رسول الله ﷺ حين أعلن دستور المدينة، وقرر حقوق غير المسلمين كحقوق المسلمين فى المواطنة.

وطبق المسلمون دعائم الوحدة الوطنية بعد ذلك، فقرر الفاروق عمر رضى الله عنه أن لأهل الكتاب كفالة فى بيت مال المسلمين، فقد روى أنه مَرّ بباب جماعة، فوجد سائلا يسأل، وهو شيخ ضرير كبير فسأله قائلا: من أى أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودى، فسأله: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسنّ، فأخذ عمر رضى الله عنه بيده إلى منزله وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: انظر هذا وأضرابه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.

إنها صور مشرقة فى تاريخ الإسلام توضح إلى أى مدى كانت الوحدة الوطنية أقوى ما يكون، وقد طبق المسلمون تعاليم الإسلام فى الحفاظ على حقوق غير المسلمين لدرجة أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تمسك بإطلاق الأسرى الذين كانوا فى أيدى التتار من أهل الذمة مع المسلمين، فعندما أطلق قائد التتار أسرى المسلمين فقط دون أسرى أهل الكتاب لم يقبل شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال لقائد التتار: لا نرضى إلا بإطلاق جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة، فحقق له قائد التتار ما أراد، وأطلق جميع الأسرى حين رآه مُصرا على ذلك.

ونرى صورة أخرى من صور التسامح والحفاظ على الوحدة الوطنية عند فتح مصر حيث علم عمرو بن العاص رضى الله عنه بخروج بنيامين هربا من فسق الرومان وظلمهم أرسل من يُنادى على بنيامين ويدعوه إلى المجيء آمنا معزّزا مكرما؛ من أجل أن يُدير شئون أهل ملته وجاء وتولى أمور إخوانه فى أمن وسلام.

وهكذا ظل المسلمون والأقباط يعيشون فى مناخ أخوى آمن لا عنصرية ولا طائفية بل قامت بينهم الوحدة الوطنية راسخة القواعد، وعاش المسلمون والأقباط فى أمن وسلام.

وظل المسلمون مع غير المسلمين لا يُعادى أتباع الإسلام أتباع أى دين آخر، بل إن الإسلام أمر بالإيمان بجميع الأنبياء دون تفريق بين أحد منهم.

قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ البقرة: ١٣٦

ونهى الإسلام عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٦.

فواجبنا جميعا أن نحمى الوحدة الوطنية من أى محاولة سلبية تحاول هَزّ بنائها، أو إشعال الفتنة الطائفية بين أىّ من عنصرى الأمة.

وليعلم كل متعصب يحاول إثارة الفتنة الطائفية بأنه لا يخدم قومه بل بالعكس إنه يخدم أعداء الأمة الذين يتربصون بها الدوائر، والذين

يسرهم كل السرور أن يروا الأمة فى فرقة واختلاف لأن مبدأهم القديم هو: «فرق تسد» وإلى جانب هذا فعلى الجميع أن يعلموا بأننا ركاب سفينة واحدة، وسكان وطن واحد وأننا جميعا كالجسد الواحد إذا مسَّ عضوا من أعضائه السوء سرى التعب إلى سائر الأعضاء وركاب السفينة الواحدة إذا حاول أحدهم خرقها فلن يهلك - فقط - من مارس الخرق بل يغرق كل ركاب السفينة.

كما قال الرسول ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مَرُّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أن خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نُؤْذِ من فوقنا؟ فلو أنهم تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، ولو أنهم أخذوا على أيديهم نَجَوا ونجوا جميعا».

واجب الخطاب الدينى وأثره فى واقعنا المعاصر

إن واقعنا المعاصر بما يتراءى فيه من متغيرات مجتمعية، وأحداث ووقائع، وهموم وطنية ويشهد هذا الواقع تحولا تاريخيا، ومنعطفا بالغ الأهمية.. يستوجب كل ذلك على الخطاب الدينى، أن يتعامل مع الأجواء المحيطة به بما يؤكد على الأمان والاستقرار، وعلى العمل والإنتاج، ونشر الحق والعدل، والمساواة والحرية والعطاء الحضارى فى تجرد من الأثرة والأنانية حتى يكون الخطاب الدينى مطابقا لمقتضى الحال.

وأرى أن هناك خمسة محاور يجب أن يركز عليها الخطاب الدينى فى هذه المرحلة:

۞ **المحور الأول**: هو توثيق الصلة بالله تعالى وذلك بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة مع التركيز على التوبة والإنابة لله تعالى، والتضرع إلى الله ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ الأنعام: ٤٣، وأن نتقرب إلى الله تعالى فى إخلاص أكيد حتى يهتدى الجميع إلى سواء السبيل؛ لأنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولا يكشف إلا بتوبة، فإذا أردنا الحق والخير وسعادة الأمة فعلينا بتوثيق الصلة بالله سبحانه.

وإذا نظرنا إلى رسولنا ﷺ عندما أراد تأسيس الدولة كان الأساس الأول هو بناء المسجد ليكون همزة الصلة بين الخلق وخالقهم، لأن الصلة بالله فيها الضمان للأمن والنجاة وطريق الطمأنينة والرضاء.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ الطلاق: ٢ - ٣ .

فعلى الدعاة والعلماء والمؤسسات الدينية أن تُعنى فى الخطاب الدينى بنشر روح العبادة، وتأكيد الصلة بالله تعالى، وغرس الضمير الدينى؛ حتى يراقب كل إنسان ربه فى عمله الذى يقوم به، وأن يعبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه كما قال رسول الله ﷺ: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

۞ **المحور الثانى**: أن يوثق الناس صلتهم ببعضهم فيتحابون ويتضامنون، بحيث يحب بعضهم بعضا، ويوقن كل إنسان أنه أخ لأخيه الإنسان فلا يحمل حقدا ولا كراهية ولا ضغنا على أخيه.

ولقد كان هذا العنصر وهو محبة الناس وتضامنهم هو العنصر الثانى فى تأسيس الدولة بعد الهجرة النبوية الشريفة حيث كان الأساس الأول ممثلا فى توثيق الصلة بالله ببناء المسجد والثانى فى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وكما قال رسول الله ﷺ.

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه).

۞ **المحور الثالث**: وهو ما يتعلق بالمسئولين: فواجبهم أن يحققوا تعاليم الإسلام، وأن يطبقوا العدالة وأن يوقنوا أنهم حين يعدلون يكونون أول السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.

فالعدل مطلوب فى الحكم كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء: ٥٨

والعدل فى القول كما قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٢.

فواجب الخطاب الدينى أن يكثّف الدعوة لتوجيه المسئولين إلى إحقاق الحق، وإقامة العدل بين الناس.

۞ **المحور الرابع**: هو ما يتعلق بوجوب العمل ومضاعفة الإنتاج.. فعلى الخطاب الدينى أن يكثف الدعوة إلى العمل والإنتاج والتنمية، فلا نريد للحياة أن تتوقف، ولا يصح أن تتجمد مسيرة الحياة والإنتاج.

وفى الوقت الذى ننادى فيه بالعمل والإنتاج فإننا ننادى أيضا كل مسئول أن ينظر فى مطالب الناس، وفى حقوق أصحاب الوقفات الاحتجاجية، ولكى تنطلق مسيرة العمل والإنتاج فمن الواجب ألا يتدخل أصحاب الأهواء فى محاولة تشويه صورة بعض الشخصيات بسبب ما بين بعض الناس والبعض الآخر من خصومات كثيرا ما تقع بين الناس فى مجالات كثيرة.

وقد تدفع خصومات ما أو منافسات بعض الناس للوقوع فى أعراض غيرهم وتشويه صورتهم، ونحن نستدعى الخطاب الدينى ليعالج مثل هذه المشكلات، وليعلم الجميع أن إشاعة التشهير والتشويه والمنكر من أبشع الجرائم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ

فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ النور: ١٩، والذين يحاولون اغتياب الناس أو البهتان عليهم أو تصفية الحسابات معهم فى هذه المرحلة لشغل الناس والمسئولين ويحاولون ركوب الموجة بالاتهامات، هؤلاء بعيدون عن روح الإسلام والحق فقد حرم الإسلام الغيبة، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته). رواه مسلم.

ولكى تمضى سفينة المجتمع بالعمل والإنتاج لابد من التحاب والتواد وترك الشحناء والبغضاء والتحرش بالناس ومحاولة إلصاق العيوب بالناس فقد قال رسول الله ﷺ: (من ذكر امرءا بشىء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاد ما قال فيه) رواه الطبرانى، وفى رواية أخرى: (أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها برىء يشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه يوم القيامة فى النار حتى يأتى بنفاد ما قال) رواه الطبرانى.

وإن مما لا ريب فيه أن مناهضة الشر والفساد أمر واجب ولكن علينا فى الوقت نفسه ألا يقع الناس فى فساد أشد يجرّح بعضهم بعضا، وعلينا أن نحرص فى هذه المرحلة على وحدة الصف وجمع الكلمة لبناء مجتمعنا على المحبة والمودة، «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا».

۞ **المحور الخامس**: تنقية الأجواء، ونشر القيم الدينية والمثل الخلقية التى جاء بها القرآن الكريم والسُنّة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وواجب الخطاب الدينى فى هذه المرحلة الاهتمام بتنقية الأجواء، ليتم الوفاق والوئام بين الجميع، وعلى من يقوم بالخطاب الدينى أن ينأى بنفسه عن الدخول فى تعصب بل عليه أن يتسم بمنهج الإسلام السمح، فيدعو بالحكمة والموعظة الحسنة حتى تسود ثقافة التسامح، ونكون جميعا على قلب رجل واحد.

حب الوطن وحمايته

للوطن فى أعناق أبنائه أمانة يجب عليهم أن يحافظوا عليها فإن حب الوطن من الإيمان، وإن واجب كل إنسان أن يحرص على حماية الأوطان، فلا يمارى امرؤ ومعه عقله أن الوطن بيته، فيجب عليه أن يحافظ على أمنه وسلامته، وأن يدافع عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلا وقد أوجب الإسلام، الدفاع عن الأوطان، وشرع الجهاد فى سبيل الله دفاعا عن الدين والوطن والأرض والعرض ومن قتل فى سبيل الدفاع عن وطنه كان شهيدا فى سبيل الله ولا تقتصر حماية الأوطان والدفاع عنها على مواجهة العدوان ومقاومة الدخيل فحسب، بل إن من الواجب فى حماية الأوطان مناهضة كل فكر مغشوش، أو إشاعة مغرضة أو محاولة استقطاب البعض لمصلحة بعض الأهواء المشبوهة.

كما تشمل حماية الأوطان، المحافظة على أسراره الداخلية، وعدم التعامل مع أعداء الوطن أو من يريدون به السوء.

أو الذين ينفثون سمومهم فى أجواء المجتمعات بغيا منهم وعدوانا.

ومن الأوطان ما هو خاص، مثل وطن الإنسان الذى يعيش فيه. وبلده الذى نشأ على ظهره، ودولته التى يحيا فيها.

ومن الأوطان أيضا: ما هو عام مثل العروبة والإسلام فالعالم العربى، وطن كل إنسان عربى، والعالم الإسلامى وطن كل إنسان مسلم.

ومن الأوطان الوطن الأعم وهو الإنسانية جمعاء عربا كانوا أو غير عرب، مسلمين كانوا أو غير مسلمين وفى كل نوع من أنواع الأوطان جاءت توجيهات الإسلام واضحة جلية فى حمايتها والدفاع عنها فى كل وقت وحين، وفى كل حال من الأحوال، لأن الاسلام دين عالمى ودين الرحمة أرسل رسوله سيدنا محمد ﷺ رحمة للعالمين كما قال رب العزة سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾سورة الأنبياء (١٠٧).

ولنبدأ بالحديث عن الوطن الخاص وهو الذى يعيش فيه الإنسان وينتمى إليه، فنرى أن الإسلام أوجب على الإنسان حب وطنه وشرع الجهاد من أجل الدفاع عن العقيدة والوطن ودعا إلى حماية الوطن من أعدائه، وممن يريدونه بسوء، وممن يريدون إحداث القلاقل والفتن وإثارة المخاوف والاضطراب، وأن واجب كل إنسان أن يتصدى للفتن ما ظهر منها وما بطن والذى يحدث القلاقل أو يشجع عليها أو يدعولها ليس بكامل الإسلام، فقد قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» وقال أيضا: «والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم»

ولقد أكد رسول الله ﷺ فى حجة الوداع على هذه الحقوق وقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد».

ومن الخيانة العظمى أن يخون مواطن وطنه ويتآمر ضده من أجل منفعة مادية!! ومن فعل مثل ذلك كان بعيدا عن الدين بعيدا

عن الله؛ لأن المؤمن الحقيقى من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

وإن الانسان الذى يخون وطنه ويتآمر مع أعدائه إنسان بعيد عن حظيرة الإيمان، إنه يرتكب أبشع أنواع الخيانة، إنه يخون الله الذى أمر بالدفاع والجهاد من أجل الوطن، ويخون رسول الله ﷺ الذى أمر بحماية أمانة الوطن، ويخون أماناتة نفسه وأمانات الناس وقد قال رب العزه سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ سورة الأنفال (٢٧).

واجب أبناء الوطن أن يكونوا عيونا ساهرة لحماية أمن الوطن وأن يتضامنوا فى درء أى خطر يتهددهم وأن يتكاقفوا جميعا عن بكرة أبيهم وبلا استثناء على ردع كل من تسول له نفسه أن يجترئ على الوطن وأن يسعى بذمتهم أدناهم، وأن يكونوا يدا على من سواهم، بغض النظر عن عقائدهم فيجب أن يتعاونوا جميعا مسلمين وغير مسلمين.

وأعظم صورة يقتدى بها فى ذلك ما فعله رسول الله ﷺ فور هجرته من مكة إلى المدينة حيث بنى المسجد توثيقا للصلة بالله، وآخى بين المهاجرين والأنصار توثيقا للصلة بين المسلمين، وأبرم صحيفة المدينة توثيقا بين المسلمين وغير المسلمين دفاعًا عن الوطن، وحماية له من أى عدو يناوئه أو أى خطر يتهدّده. وأعطى بهذا نموذجا من أرقى النماذج فى الحفاظ على سلامة الوطن وأمنه واستقراره، ليقتدى به العالم كله بعد ذلك وكانت هذه الصحيفة التى أبرمها فى المدينة بين المسلمين وغير المسلمين أول وثيقة عرفتها البشرية لحقوق الإنسان حيث شرط لغير المسلمين وشرط عليهم ووحّد كلمة الجميع على أن يتضامنوا فى الحفاظ على الوطن ودرء أى خطر يوجه من أعدائه إليه.

وأما بالنسبة للوطن العام وهو العروبة والاسلام فذلك لأن كل عربى يجب أن يصون أمن أخيه العربى وأن كل مسلم يجب أن يحمى أخاه المسلم فى أى مكان على ظهر المعمورة؛ لأن الجميع إخوة كما قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» رواه البخارى.

وتضامن المؤمنين يجعل منهم بناء واحدا يشد بعضه بعضا كما قال الرسول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا» رواه البخارى.

وأما بالنسبة للوطن العام الكبير وهو الانسانية جميعا، فيجب على جميع الناس أن يتعارفوا ويتآلفوا ويتعاونوا قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا ﴾ إن واجب بنى آدم فى كل الأرض ألا يتصارعوا وألا يتنازعوا بل عليهم أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم أبناء أب واحد وأم واحدة ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾.

آدم والد الجميع فحمق وضلال تفاخر الأبناء وإذا كنا نتنادى إلى نشر الأمان والاطمئنان فى الأرض؛ انطلاقًا من أننا أبناء أب واحد وأم واحدة على مستوى الإنسانية جمعاء فإن الواجب كذلك ألا تشتعل الحروب ولاتنتشر أسلحة الدمار الشامل وبدل أن تبدد الأموال الطائلة على أسلحة الدمار تنفق على رفع مستوى حياة الناس وإشباع البطون الجائعة ونشر الخير والأمان.

ويذكرنا انتصارنا فى العاشر من رمضان السادس من أكتوبر كيف تم هذا النصر، وأنه إنما تم نتيجة الإيمان الصادق، والأخذ فى الأسباب

وإعداد العدة التى أمر الله تعالى بها فى قوله سبحانه ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ سورة الأنفال (٦٠). ونتيجة نصرنا لتعاليم الإسلام ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾سورة محمد (٧).

هذا وإن واجبنا فى هذه المرحلة التى يمر بها وطننا العزيز أن نسعى جاهدين على الوفاق الوطنى، ونشر ثقافة التسامح فيما بيننا فلا نتقاطع ولا نتدابر بل نكون جميعا بنعمة الله إخوانا متحابين حتى ينهض الوطن قدما إلى الأمام، ونستجب للتوجية النبوى: «لاتحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا».

الفهرس

المقدمة ٣
احترام الإسلام لسائر الأديان السماوية ٥
موقف الإسلام من غير المسلمين فى الحروب ٧
موقف الإسلام من غير المسلمين فى حال السلم ١٠
المساواة بين المسلمين وغير المسلمين فى القضاء وسائر المعاملات ١٣
سماحة الإسلام مع غير المسلمين ١٦
الإسلام دعوة كل الرسل ٢٠
نماذج لأثر سماحة الإسلام ٢٧
الواجب على المسلمين فى الظروف الراهنة ٣٥
حاجة المجتمع إلى التضافر على الحق ٤٠
أسس الوحدة الوطنية ٤٤
شواهد تاريخية لترسيخ دعائم الوحدة الوطنية ٤٨
واجب الخطاب الدينى وأثره فى واقعنا المعاصر ٥٢
حب الوطن وحمايته ٥٧

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ١٥٨٣٩
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7859-8

١ / ٢٠١٣ / ٢٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)